الملخص التنفيذي ٢٠٢٠ المشهد الإسرائيلي ٢٠١٩

هنيدة غانم/ محررة التقرير

يعيش العالم بأسـره في لحظة كتابة هذا الملخص حالة من عدم اليقين، والترقب الشديد، بسبب انتشار وباء كورونا، والذي من غير الممكن حتى اللحظة قراءة تبعاته المستقبلية، بحيث لن يكون العالم من بعده كما كان من قَبله، ومن المتوقع أن يعيد تشكيل قيم وممارسات ومؤسسات ومفاهيم أساسية تمس البشرية جميعها.

من بين التأثيرات المباشـرة وقصيرة الأمد لوباء الكورونا على المشـهد الإسرائيلي، كما بدأ يتضح، فك الأزمة الانتخابية المستعصية منذ عام ونيف، إذ مع بداية انتشار الوباء بدأت تتعالى أصوات على جانبي الخارطة الحزبية تدعو لتشـكيل حكومة طوارئ لمواجهة الأزمة. ودعـا بنيامـين نتنياهو في هـذا الإطار خلال المؤتمـر الصحافي الذي عقده يـوم ١٢ آذار ٢٠٢٠، وبعد إعلانه قرار إغلاق الجامعات والمدارس، وشـرح الخطورة الضخمة للفيروس، إلى تشكيل حكومة طوارئ وطنية لفترة محددة برئاسته، وبالشراكة مع «أزرق أبيض»، على غرار حكومة الطوارئ التي تم تشكيلها بالشراكة مع الليكود عشية حرب ١٩٦٧.

وفي ٢٧ من آذار، بعد أن اعتقد أغلب المراقبين أن المعارضة بزعامة أزرق أبيض، وعلى رأسـها غانتس، ماضية في مسـاعيها الحثيثة لسد كل المنافذ أمام نتنياهو لتشكيل حكومة، سـواء عبر اسـتصدار قرار من محكمة العدل العليا لإجبار رئيس الكنيسـت يوئيل- يولي ادلشـتاين على عقد جلسـة للكنيست للتصويت على اسـتبداله، بموازاة المضي قدما لطرح قانون يمنع متهما بقضايا فسـاد من تشـكيل حكومة، في إشارة إلى نتنياهو، وحين بدا أن المعارضة مستعدة للذهاب إلى حكومة أقلية بدعم خارجي من القائمة المشتركة، وأن أقطاب اليمين المتطرف بقيادة ليبرمان كانوا على اسـتعداد للتعاون مع المشـتركة التي واظب على

نعتهـا بالطابـور الخامس، من أجل الإطاحة بنتنياهو، فاجـأ بيني غانتس الجميع بالتوصل إلـى اتفـاق أولي للدخول في ائتلاف مع معسـكر نتنياهو، ووفـق الصيغة التي أصر عليها الأخير في الانتخابات السـابقة للتناوب، بحيث يكون رئيسـا للحكومة خلال العام ونصف العام القريبين، ثم يليه غانتس، بالإضافة إلى حصول غابي اشكنازي على حقيبة الدفاع.

شكل هذا الاتفاق ضربة قاضية لمعسكر المعارضة، وأنهى مساعي إسقاط نتنياهو التي قادهـا ائتـلاف أزرق أبيض، الذي تشـكل فقط من أجل هذه المهمـة، وأدى اتفاق غانتس–نتنياهو إلى شـطر أزرق أبيض إلى شـطرين؛ حزب حوسـن ليسـرائيل (مناعة لإسرائيل) بقيـادة غانتـس، ويضم ١٥ عضو كنيسـت، وحزبا "تلم" بزعامة موشـيه يعلون و"يش عتيد" بزعامة يائير لبيد، ويضمان معا ١٨ عضوا.

وبعد عام ونيف من الأزمة السياسية المستمرة، ومن الصراع المحتدم، ومن ثلاث دورات انتخابية مكررة، كانت الكورونا "البجعة السـوداء"؛ أي العامل الذي لم يحسـب له حسـاب والـذي عمـل لصالح نتنياهـو، وأتاح له ان يخرج منتصـرا، إذ إن رفض غانتس الانضمام لحكومة "وحدة" في ظل القلق العام ومخاطر جائحة الكورونا، كان سيعني تفضيله المصالح الضيقة الحزبية على المصلحة العامة ومواجهة التهديد الذي يتعرض له الجميع.

لا بـد هنـا من الإشـارة إلى أن اللغة التي تم اسـتخدامها من قبـل نتنياهو في دعواته المتكررة لإقامة حكومة طوارئ اعتمدت على اسـتخدام لغة مبنية على التحذير الشـديد من ضخامة تهديد الكورونا الذي وصفه بأنه الأضخم منذ الطاعون الذي قضى على ثلث سكان أوروبا، وأن مواجهة حالة الطوارئ هذه تستدعي تنحية كل النقاشات السياسية والخلافات الحزبية، والدخول بسرعة تحت "الحمالة"، والتجند تماما كما في الحرب.

ومع ظهور نتنياهو بشكل شبه يومي في ساعات الذروة لمخاطبة الإسرائيليين حول وباء الكورونـا، وإعلانـه عن الإجراءات والتشـديدات المتصاعدة لحصر انتشـار الوباء، وآخرها إعـلان إغلاق شـبه تـام للبلاد، ثـم مع بدء سـقوط وفيـات (١٢ حتى اللحظة) واسـتمرار تصاعد أعداد المصابين، وضمن سياق الصور الصادمة الآتية من أوروبا، خصوصا إيطاليا وإسـبانيا التـي تضربها الجائحة بشـكل كارثي، وفي ظل قفزة البطالـة من ٣,٧ ٪ أواخر عام ٢١٠٩ إلى ما يقارب ٢٢٪ وما يعنيه ذلك مستقبلا، وفي ظل وجود خطر حقيقي وخوف جماعـي من المسـتقبل، كانت خيارات غانتس محصـورة بين الانضمام لمواجهة "الجائحة"، أو الاسـتمرار في مسـاعي إسقاط نتنياهو، ضمن هذه المعطيات كان قرار الذهاب لائتلاف حكومي مع نتنياهو بمثابة توجيه ضربة قاضية للمعارضة عامة، ولأزرق أبيض ثانيا.

يمثـل تشـكيل هـذه الحكومة مخرجـاً لنتنياهو الـذي كان من المقـرر أن تبدأ جلسات محاكمته في ١٧ آذار ٢٠٢٠، ولكنها تأجلت حاليا إلى أيار. ويحل تشكيل

حكومة نتنياهو وغانتس الأزمة الانتخابية المستمرة منذ عام ونيف، والتي أسفرت عن وضع غير مسبوق، من حيث عدم قدرة أي من المتنافسين على تشكيل ائتلاف ضمن المعطيات الموجودة، لكن من المهم الأخذ بعين الاعتبار أن هذا الحل يمكن أن يكون مؤقتا بسبب طبيعة الصراعات المتوقع ظهورها بين تيار غانتس ومعسكر نتنياهو، خصوصاً في القضايا السياسية والقضائية والعلاقة بين سلطات الدولة، إضافة إلى وجود شكوك بإخلاء نتنياهو لكرسيه بعد عام ونصف، وعدم افتعال أزمة بغرض عدم القيام بذلك، بما في ذلك الذهاب إلى انتخابات مجددة، ويمكن أن تعود الأزمة في حال انفراج أزمة الكورونا.

يشار إلى أنه بموجب ما نشر حتى اللحظة، فإن الحكومة المرتقبة ستُمحور عملها خلال نصف السنة القريبة في مواجهة الكورونا، وآثارها الاقتصادية والمجتمعية المختلفة، فقط، ولن تتخذ إجراءات أخرى؛ ما يعني عدم القيام بخطوات سياسية كبيرة كإعلان الضم، علما أن هذا لا يعني، ولا بأي شكل، تغيير ما يتم تنفيذه على الأرض من إجراءات ومشاريع استيطانية تصب في النهاية في اتجاه تنفيذ صفقة القرن.

وتمحور المشهد الإسرائيلي ٢٠١٩ داخليا حول **الأزمة السياسية الانتخابية الداخلية المستمرة في إسرائيل**، التي تتوازى وتتداخل مع تقديم المستشار القضائي للحكومة افيحاي مندلبليت لائحة اتهام ضد نتنياهو في ثلاثة ملفات واتهامه بالفساد والرشوة وخيانة الأمانة، وقد ألقت الأزمة بظلالها على القضية الفلسطينية ووجهتها، وتجاوزت آثارها وإسقاطاتها الشأن السياسي الداخلي والصراعات على رئاسة الحكومة، وتحولت إلى أحد العوامل المؤثرة دوليا وإقليميا. فقد أدت هذه الأزمة وفي ظل التحالف بين ترامب ونتنياهو إلى الدفع باتجاه إعلان ترامب عدة قرارات إستراتيجية سياسية منحازة، كالاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على الجولان عشية الانتخابات في أيلول ٢٠١٩، وثم إعلان صفقة القرن عشية انتخابات آذار ٢٠٢٠.

على المستوى العام والمرتبط بالمسألة الفلسطينية شكلت صفقة القرن حدثا أساسيا متدحرجا ذا أبعاد إستراتيجية. بدأ إعلان الصفقة بشقها الاقتصادي بعقد مؤتمر البحرين للسلام الاقتصادي الذي يُعرف رسميًا باسم «ورشة عمل السلام من أجل الازدهار» يومي ٢٥ و٢٦ حزيران ٢٠١٩ ، ثم جاء إعلان دونالد ترامب عن الشق السياسي للصفقة في ٢٨ كانون الثاني ٢٠٢٠ والتي نشرت تحت عنوان «السلام من أجل الازدهار: رؤية لتحسين حياة الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي». تتبنى هذه الرؤية بلغتها ومنطلقاتها وأهدافها الرؤية الإسرائيلية اليمينية للصراع

والتسـوية، وتسـعى إلى شرعنة الاسـتعمار الاسـتيطاني، وتحويل حالة الأبرتهايد الفعلي إلى أبارتهايد قانوني تحت مسمى دولة.

وفـي ظـل التماهـي بين نتنياهـو وترامب، وتداخـل صفقة القرن في السياسـة الإسـرائيلية الداخلية، تعمقت عدة سـيرورات بدأت بوادرها مع تقلد نتنياهو زمام الحكـم قبـل عقد فـي ٢٠٠٩، أهمها تعميق الشـرخ بين إسـرائيل برئاسـة نتنياهو وبـين الحـزب الديمقراطي من جهة أخرى، وتعميـق الفجوة مع الجالية اليهودية في أميـركا من جهة أخرى، والتي تصـوت بأغلبيتها للحزب الديمقراطي وتتبنى مواقف ديمقراطيـة ليبراليـة ترفض تحالف حكومة نتنياهو مع جماعات صهيونية مسـيحية تتبنـى رؤى غيبيـة وعنصرية تجاه اليهـود، وزعماء اليمين الشـعبوي والمتطرف في العالم كهنغاريا والبرازيل والهند.

وكان مركـز رعوت الإسـرائيلي الـذي يعنى بتقوية مناعة دولة إسـرائيل أصدر ملفـا تحذيريـا جـاء فيه «إن إسـرائيل موجودة علـى حافة ما اسـماه «مفاجأة يوم الغفـران» فـي علاقتها مع يهود أميركا، مضيفا أن هذه المفاجأة قد تحدث في اليوم التالـي لترامـب، والـذي تتعمق خلال ولايته حالـة التباعد بين دولة إسـرائيل ويهود الولايات المتحدة، ويتم تحدي مكانة منظمات تعمل من أجل إسـرائيل وعلى رأسـها «ايبـاك»، ويتم تحويل إسـرائيل إلى موضوع لحزب واحـد، وفي حالة خروج ترامب من المشهد السياسي ستتعامل إسرائيل مع حكم ديموقراطي أقل التزاما بإسرائيل من الماضي، في وضع يكون فيه اليهود أقلية بين البحر والنهر»،[1] في إشـارة مبطنة إلى أن إسرائيل ستجد نفسها في وضع هش عالميا، إذ بدون حل مقبول فلسطينيا، سـتصبح فعليا تدير نظام أبارتهايد دون وجود إدارة أميركية داعمة، ومع خسـارة الدعم اليهودي الذي يعتبر عامودا من أعمدتها الحاملة.

١. أزمة سياسية مستعصية تنتهي مع الكورونا:

أُجريـت الانتخابات الإسـرائيلية ثلاث مرات خلال العام المنصرم: في ٩ نيسـان ٢٠١٩، وفـي ١٧ أيلـول ٢٠١٩، وفي ٢ آذار ٢٠٢٠ ، وذلك على خلفية فشـل أي من الأطراف في تشكيل ائتلاف حكومي.

وجاء إعلان إجراء انتخابات ثانية مفاجئا لأغلب المحللين، إذ بدا أن نجاح نتنياهو بعد انتخابات نيسان في تشكيل حكومة يمين مفروغاً منه. فقد حصل حزب الليكود في نيسان على ٣٦ مقعداً، وحصلت كتلة أحزاب اليمين التي شملت حينها الأحزاب الدينية المتشددة «الحريدية» (شاس ويهدوت هتوراه) والاستيطانية (البيت اليهودي)

واليمينية العلمانية (إسـرائيل بيتنا بزعامة أفيغدور ليبرمان)، معاً، على ٦٥ مقعداً، منهـا ٥ مقاعـد لحزب ليبرمان. وفي المقابل حاز ائتلاف «أزرق أبيض»، وهو تحالف مـن قوى وأحزاب، وخصوصاً من جنـرالات، ٣٥ مقعداً، بينما حصل حزب ميرتس علـى ٥ مقاعـد، وانهار حزب العمل الذي لم يحصل سـوى على ٥ مقاعد، وانخفض تمثيـل الأحـزاب العربية التي خاضت الانتخابات بقائمتين، إلى ١٠ مقاعد، لتشـكل كتلة المعارضة مجتمعة ٥٥ مقعداً.

رفـض ليبرمـان الانضمام إلـى حكومة نتنياهو بسـبب خلاف، ظاهـره مرتبط بقضيـة تجنيـد الحريديين، وباطنه صراعات شـخصية وحزبية، مـا خلط الأوراق، وفتـح البـاب – ولـو نظرياً، ولأول مرة منذ سـنة ٢٠٠٩ – على خيـارات حكومات ائتلافية لا يقودها نتنياهو.

أسـفرت الانتخابات المكررة في ١٧ أيلول عن تعميق الأزمة السياسـية بدلاً من حلهـا، وفتحـت الطريق نحو الانتخابات الثالثـة. كان رهان نتنياهو على أنه، ومن خـلال الذهـاب إلى انتخابات جديدة في أيلول، سـيتمكن مـن الحصول مع باقي أحزاب اليمين على ٦١ مقعداً، من دون حزب «إسرائيل بيتنا» بزعامة ليبرمان. غير أنه لم يفشل في تأمين ٦١ مقعداً فحسب، بل إن قوة حزبه تراجعت من ٣٥ مقعداً (تضاف إليها ٤ مقاعد لحزب «كلنا» الذي انشـق عن الليكود في سـنة ٢٠١٥، ثم عـاد واندمج فيه بعد انتخابات نيسـان) إلى ٣٢ مقعـداً، بحيث إن كتلة اليمين لم تحصـل إلّا علـى ٥٥ مقعداً.على الجانب الآخر، حصل حزب أزرق أبيض على ٣٣ مقعداً، وحصدت القائمة المشتركة ١٣ مقعداً، وحزب ميرتس ٥ مقاعد، والعمل ٦ مقاعـد، وبلغ مجموع ما حازته تلك الكتـل المعارضة معاً، ٥٧ مقعداً. وفي المقابل عـزز حـزب «إسـرائيل بيتنا» قوته من ٥ مقاعد إلـى ٨، ليتحول بذلك إلى صاحب القرار بشـأن مَن سيشـكل الحكومة، معلناً أنه سيدعم فقط حكومة وحدة علمانية صهيونية تضم الليكود و «أزرق أبيض» وحزبه، وتسـتثني الحريديم، كما تستثني القائمة المشـتركة (العربية) التي حلت ثالثاً، والتي يبدو أن احتسـابهم في ائتلاف يكون ليبرمان جزءاً منه هو أقرب إلى المستحيل، وخصوصاً أن هذا الأخير أعلن أنه يقف دائماً في الصف المعاكس للعرب. وفي موقف غير بعيد عنه، بنى نتنياهو خطابه الانتخابي كله على التحريض ضدهم، ونزع الشـرعية عنهم، واستخدامهم لبثّ الرعب من أجل كسب الدعم لليمين.

ومـع فشـل كل من نتنياهو و غانتس في تشـكيل ائتـلاف حكومي تم الذهاب مجـددا إلـى انتخابات ثالثة في ٢ آذار ٢٠٢٠، وصلت نسـبة التصويت في هذه

الانتخابات إلى نحو ٧١,٥٪ بينما كانت في أيلول ٦٩,٨٪؛ بمعنى أن نسبة التصويت ارتفعت بـ٢٪ تقريباً. ووصل عدد الأصوات الصحيحة في هذه الانتخابات إلى ٤,٥٩٠,٠٦٢ صوتا، فيما وصل عدد الأصوات الصحيحة في انتخابات أيلول إلى ٤,٤٣٦,٨٠٦ أصوت.[٢]

ووفقاً للنتائج النهائية، حصلت قائمة حزب الليكود برئاسة نتنياهو على ٣٦ مقعداً، وقائمة تحالف «أزرق أبيض» برئاسة عضو الكنيست بيني على ٣٣ مقعداً، والقائمة المشتركة على ١٥ مقعداً، وقائمة حزب شاس الحريدي على ٩ مقاعد، وحصل كل من قائمة «يسرائيل بيتينو (إسرائيل بيتنا)»، وقائمة الحزب الحريدي يهدوت هتوراه، وقائمة التحالف بين أحزاب العمل و«غيشر» وميرتس على ٧ مقاعد، وحصلت قائمة تحالف «يمينا» على ٦ مقاعد، لتكون النتيجة النهائية حصول معسكر نتنياهو على ٥٨ مقعدا، ومعسكر معارضيه على ٦٢ مقعدا.

وقد كانت أكثر النتائج لفتا للانتباه في هذه الانتخابات هي ارتفاع نسبة التصويت في المجتمع العربي (لا يشمل المدن المختلطة) حوالي ٦٥٪، مقارنة مع ٦٠٪ في أيلول (٢٠١٩) و٤٩٪ في نيسان (٢٠١٩). وحصلت القائمة المشتركة في هذه الانتخابات على ٥٨١,٥٠٧ أصوات، ما يعادل ١٢,٦٪ من أصوات الناخبين عموماً، و٨٧,٧٪ من أصوات الناخبين العرب (لا يشمل المدن المختلطة)، بينما ذهبت باقي الأصوات العربية إلى الأحزاب الصهيونية.

وللمقارنة، حصلت القائمتان العربيتان (تحالف الجبهة والعربية للتغيير وتحالف الموحدة والتجمع) في انتخابات نيسان على ٣٣٧,١٠٨ أصوات، ما يعادل حوالي ٧٠٪ من مجمل الأصوات في المجتمع العربي، بينما ذهبت (٣٠٪) لأحزاب صهيونية. وبالمقارنة مع نتائج التصويت للقائمة المشتركة في انتخابات عام ٢٠١٥، حصلت القائمة على ٤٤٦,٥٨٣ صوتا؛ أي ما يعادل ١٠,٦١٪ من مجمل الأصوات، وهي ٨٢٪ من الأصوات في المجتمع العربي.[٣] أدت هذه النتيجة إلى بدايات تغيير في الخطاب السياسي الإسرائيلي من قبل بعض الشخصيات السياسية، وفي «أزرق أبيض»، التي بدأت تبدي قبولا لفكرة التعاون مع «المشتركة» واعتبارها شريكا، وفي هذا الإطار، لمح أن حكومة الطوارئ التي يقترحها نتنياهو يجب أن تشمل الجميع- في إشارة للمشتركة- أو إعطاء المشتركة رئاسة لجان في الكنيست، علما أنه حاول في انتخابات نيسان وأيلول الحفاظ على مسافة من «المشتركة»، ونفي أنه سيقوم بأي تعاون معها، غير أن هذه الإستراتيجية تغيرت بشكل كبير بعد انتخابات آذار ٢٠٢٠،

وبدا أن «أزرق أبيض» يفتح الباب على التعاون مع المشـتركة، وهو ما رد عليه نتنياهو بأن أي حكومة لن يكون فيها داعمو الإرهاب.

يشـكل تغير الخطاب تجاه «المشـتركة» ودعوتهم من قبل غانتس للتشـاور عشية التوصيـة، والحديـث عن التعاون معهم لدعم حكومة أقلية، وثم المطالبة بأن يكون لهم دور في حكومة طوارئ، أو دور في رئاسة اللجان، تغيير لافت في التوجه للمشتركة، واعتراف بهم كقوة سياسـية شـرعية، تسـتند هذه الشـرعية إلى قوتهم الانتخابية، وحاجة «أزرق أبيض» لهم للإطاحة بنتياهو، وهو ما حدا بنتنياهو ومن ورائه اليمين إلى الاستشـراس في التحريض على المشـتركة، وعلى «أزرق أبيض»، وقادتها، قبل أن تنشطر «أزرق أبيض». بتحالف غانتس مع نتنياهو.

حري بالتوضيح أن الأزمة الانتخابية التي امتدت لأكثر من عام ارتبطت بشـكل كبير بشـخص بنيامين نتنياهو، حيث اتفق معسـكر المعارضة على هدف أساسـي هو إسقاط نتنياهو، دون أن تربط أعضاءه بالضرورة رؤية سياسية أو أيديولوجيا مشـتركة، وقد تم تشـكيل قائمة «أزرق أبيض» التي تقود مسـاعي إسقاط نتنياهو عشـية الانتخابـات التـي عقدت في نيسـان ٢٠١٩ مـن أجل تحقيق هـذا الهدف بالتحديد، حيث تحالف كل من حزب «حوسن ليسرائيل» الذي أقامه رئيس الأركان السـابق بينـي غانتـس مع حزب «تلـم» الذي يتزعمه موشـيه يعلـون وزير الدفاع الإسـرائيلي السابق، مع حزب «يش عتيد» (يوجد مستقبل)، بالإضافة إلى تعزيزه بشخصيات من الصف العسكري الأول، كـ غابي اشكنازي، وهو ما يعني أنه وفي ظل عدم وجود برنامج بديل سياسي وحقيقي جامع، فإن الفشل في إسقاط نتنياهو الـذي تمثـل بتحالف غانتس معه يعني تفكك المعارضة، مقابل إعادة ترسـيخ حكم اليمين بزعامة نتنياهو.

وضمّ معسكر المعارضة، بالإضافة إلى القائمة المشتركة وتحالف العمل/ميرتس/ غيشـر، أيضا حزب يسـرائيل بيتينو (إسـرائيل بيتنا) بقيادة ليبرمان اليميني الذي انتقل من لعب دور بيضة القبان إلى لاعب سياسـي أساسـي لإسقاط نتنياهو، على الرغم من وجود تقاطع أيديولوجي بينهما.

لـم تحلّ الانتخابات المكررة للمـرة الثالثة في ٢ آذار ٢٠٢٠ الأزمة، لكن دخول عامـل الوبـاء غير المحسـوب خلـط الأوراق كما أسـلفنا، وأُعلن عن بدء تشـكيل حكومة، تضم إضافة إلى معسـكر اليمين (٥٨)، أعضاء حزب "حوسن ليسرائيل" (مناعة إسـرائيل)، وهم ١٥ عضوا، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هناك تنقلات بين صفوف "أزرق أبيض" السابق.

٢. صفقة القرن: بيئة إقليمية ودولية ومحلية مواتية

بـدا واضحـا منذ صعود ترامب سـدة الحكم في أميـركا، أن الإدارة الأميركية تتماهـى تمامـا مع التوجـه اليميني لنتنياهو، وبدأت هـذه الإدارة القيام بمجموعة خطـوات تتبنـى المواقـف الإسـرائيلية قبل الإعلان عن ما يسـمى «صفقـة القرن» وتحديدا: الاعتراف بالقدس كعاصمة موحدة لإسـرائيل، ونقل السـفارة الأميركية إلى القدس، وقف التمويل لوكالة غوث اللاجئين الفلسـطينيين «الاونروا»، ثم إعلان وزيـر الخارجيـة الأميركي، مايك بومبيو، أن المسـتوطنات الإسـرائيلية في الضفة الغربية لا تخالف القانون الدولي.[٤]

وسبق بيان بومبيو، تصريح سفير الولايات المتحدة الأميركية توماس فريدمان بـأن مـن حقّ إسـرائيل ضم مناطـق من الضفـة الغربية،[٥] وهـو التصريح الذي قوبـل بترحيب إسـرائيلي من قبـل كل إقطـاب الخارطة الإسـرائيلية (فيما عدا ميرتس). وبحسب مجموعة من التصريحات، فقد تم إعداد صفقة القرن بالتشاور مع المراكز البحثية والسياسـيين الإسـرائيليين، وقد علمت إسرائيل عن تفاصيل الصفقة قبل نشرها.[٦]

يتمثل المنطلق الأساسـي للخطة بوجود صراع بين طرفين متساويين يجب عليهما تقـديم تنـازلات على أسـاس منطـق التبادلية الذي سـكه نتنياهو بعـد انتخابه في ١٩٩٥ علـى أثر اغتيال رابين، وتلخـص في معادلة «يقدمون، يأخذون. لا يقدمون لا يأخـذون»، في إشـارة إلى طلبه من الجانب الفلسـطيني «محاربة الإرهاب» كي يتم التقـدم بالمفاوضـات. ويظهر تبني المنظور الإسـرائيلي عبر إسـقاط كلمة «احتلال» من الرؤية، ومطالبة الطرفين «بإبداء المرونة؛ التنازل؛ عدم طرد أي من السـكان في مسـاواة بين المسـتوطنين وبين السكان الفلسـطينيين، وهو ما جاء ليمرر فكرة إبقاء جميع المستوطنين في مستعمراتهم، حتى في الأماكن المعزولة؛ ما يعني فعليا أن كل مستوطن هو الحدود، وهو مَن يعلّمها.

تنـص الخطـة علـى قيام دولة فلسـطينية منزوعة السـلاح مع احتفاظ إسـرائيل بالمسؤولية الأمنية غرب نهر الأردن «هذه الدولة » لن تقوم إلا وفقا «لشروط» عدة بما في ذلك «رفض صريح للإرهاب. ووفق الخطة:

١. القدس الموحدة عاصمة إسـرائيل. الفلسـطينيون يمكنهم إعلان أي من الأحياء التي تقع خارج الجدار عاصمة لهم ويسـمونها القدس، وسـتعترف بها أميركا عاصمة، وتفتح فيها سفارة (كفر عقب أو أبو ديس على سبيل المثال).

٢. لن تكون حدود خارجية للدولة الموعودة خارج سيطرة إسرائيل الأمنية، وكل المعابر تحت السيطرة الأمنية الإسرائيلية.
٣. السيطرة على الأجواء في الدولة الفلسطينية هي لإسرائيل.
٤. السيطرة على مصادر المياه لإسرائيل.
٥. لن تفكك أي مستوطنة، لا في الكتل الرئيسية، ولا تلك التي تقع عميقاً شرقي الجدار والتي يصل عدد مستوطنيها إلى ١٠٠,٠٠٠ مستوطن، بمَن فيهم ١٤,٠٠٠ مستوطن يسكنون في ١٥ مستعمرة معزولة في جيوب في عمق المناطق التي ستكون «الدولة الفلسطينية» تضم أساسا غلاة المستوطنين الذين اختاروا السكن في العمق الفلسطيني لمنع إمكانية إقامة دولة فلسطينية قابلة للحياة، سيتم ربط هذه الجيوب الاستيطانية بشبكة طرق خاضعة للسيادة الإسرائيلية.
٦. ستضم إسرائيل ٣٠٪ من مناطق الضفة الغربية: ١٧٪ من الأغوار، و٣٪ من مناطق المستعمرات، و١٠٪ من كتل الاستيطان والطرق والشوارع التي ستؤدي إليها.
٧. في المناطق التي ستسيطر عليها إسرائيل، ستتوزع جيوب فلسطينية تضم على الأقل ١٤٠,٠٠٠ فلسطيني، يتوجب عليهم دخول «فلسطين» الموعودة عبر الطرق التي تسيطر عليها إسرائيل.
٨. إسقاط حق العودة الفلسطيني وحل قضايا اللاجئين خارج المسؤولية الإسرائيلية، مقابل مطالبة إيجاد آلية لتعويض مهاجري الدول العربية اليهود باعتبارهم لاجئين.

فعليا، ستكون الدولة الموعودة عبارة عن إقليم داخل دولة «أرض إسرائيل»، سيتم تسييجه بحدود بطول ١٤٠٠ كيلومتر؛ أي ضعف الخط الحالي الفاصل، وطبعاً ستوزَّع الحواجز لضمان عدم الخلط بين الطرفين والحفاظ على الحدود.. ستكون الدولة الفلسطينية الموعودة من دون أي تواصل، وستقسَّم إلى ستة معازل موجودة كلّها تحت السيطرة الأمنية الإسرائيلية؛ ستسيطر إسرائيل على جميع الطرقات التي ستربط المعازل.

تتبنّى الصفقة في الكامل المنظور الصهيوني اليميني لفرض تسوية ظاهرها إنهاء الصراع، وباطنها صك استسلام غير مشروط يحوّل الفلسطينيين إلى حرس حدود لإسرائيل، وهي رؤية لم تولد بشكل مفاجىء، فالإعلام الإسرائيلي سبق أن كشف أن نص الرؤية وضعه سياسيون أميركيون وإسرائيليون، وبالتشاور مع معاهد أمنية، كمعهد الأمن القومي، الذي تم إطلاعه على النص في مختلف مراحل بلورته. والتقت

في نص الصفقة رؤى اليمين الإسـرائيلي الجديد مع حماسـة مجموعة اسـتيطانية إفنجيلية صهيونية يقودها الثلاثي غرينبلات وكوشـنير وديفيد فريدمان، وتتحكم في مفاصل القرار الأميركي المرتبط بالمسألة الفلسطينية.

صفقة القرن- لحظة حاسمة في بيئة مواتية

مـن الصعـب التعامل مع صفقة القرن بصفتها مجرد خطة تضاف إلى عشـرات القرارات والخطط التي سبقتها وظلت حبراً على ورق في التاريخ الفلسطيني بسبب السـياق الإقليمي العربي المزق والسـياق الفلسـطيني الداخلي الهش الذي تقابله ظل حماسـة أمريكية محمولة على صهيونية مسـيحية غيبية سبق ان تطرقنا لها في تقاريرنا السابقة وسيطرة اليمين الايديولجي على مفاصل اتخاذ القرار في إسرائيل في ظل صراع انتخابي محتدم كما ذكرنا اعلاه.

السياق الاقليمي

المحيـط الإقليمـي العربي الذي شـكل فيما سـبق حاضنة للقضية الفلسـطينية، ورافعة لتحصين الموقف الفلسطيني، منقسم على ذاته، مشغول بصراعاته الداخلية، وفي حالة هشاشـة غير مسـبوقة، والأهم أن بعض دوله فتحت الباب أو أبقته مواربا للتعـاون مـع إسـرائيل، وذلك على أسـاس اعتبارها حليفا في مواجهـة إيران التي تعتبرها عدوها الأساسـي، وما يتبع ذلك من تذييل للقضية الفلسـطينية، بل وإعطاء غطاء عربي للإدارة الأميركية لتمرير الصفقة، كاستضافة مؤتمر البحرين، وحضور ممثلـين مـن البحرين وعُمان والإمـارات في مؤتمر الإعلان عـن الصفقة الذي عقده ترامب إلى جانب نتنياهو.

علـى صعيـد آخر، من المهـم الأخذ بعين الاعتبار أن الصـراع يتموضع من صراع عربي إسرائيلي إلى صراع إسلامي إسرائيلي، بعد أن أعادت إيران التموضع والانتقال من خانة الصديقة للعدوة وإعادة تموضع تركيا من صديقة حميمة إلى دولة خصم.

السياق الفلسطيني

يسـهم في خلـق البيئة المواتية لتنفيـذ صفقة القرن أيضا حالة الضعف الفلسـطيني والانقسام، وسعي إسرائيل إلى التعامل مع السلطة وحماس كلا على حدة، عبر التوصل إلى صيغة لهدنة طويلة الأمد مع حماس بمعزل عما يجري في الضفة الغربية.

يشـار إلى أن التقديرات الأمنية الحالية تسـتبعد إمكانية حدوث انتفاضة شعبية فـي الأراضـي الفلسـطينية، ما يعطـي غطاء لفكـرة تنفيذ الضم علـى الأقل لمنطقة

الأغـوار كمرحلـة أولى، ويتوازى ذلـك بطبيعة الحال مع اسـتمرار جهوزية الجيش الإسـرائيلي لإمكانيـة حدوث زعزعة وتفـكك أمني ومواجهة مع الفلسـطينيين نتيجة تطورات محتملة في حال تدحرج الأوضاع الميدانية.[٧]

تظـل كل السـيناريوهات مرهونـة بالتطـورات المرتبطة بتدحرج انتشـار فيروس كورونـا ومـدى تأثيـره على الحياة اليوميـة ومآلاته. هذا الوباء الذي قلب حسـابات العالـم كلّـه، يمكـن أن يكـون عامـلا لتبطيئ أو تسـريع تنفيذ الخطـة. إذ في حال انتشار الوباء في إسرائيل والأرضي الفلسطينية، من الممكن أن يؤدي إلى الانشغال بمواجهتـه، وتذييـل أي قضية سياسـية، خصوصا مع تشـكيل حكومة الوحدة التي تجمـع معسـكر اليمين مع تيار غانتس كمـا هو متوقع. ومن جهة أخرى يمكن أيضا استغلال الانشغال العالمي به في حال حصره في إسرائيل من أجل الدفع نحو تنفيذ مشـاريع وخطـوات تصـب في تحقيق مآرب صفقة القرن، كمنع دخول المقدسـيين للضفة تمهيدا لفصلهم نهائيا عنها.

للاجمال الكورونا سـتحدد في المرحلة المقبلة ليس فقط وجهة المشـهد الإسرائيلي والفلسطيني، بل وجهة البشرية جميعا.

الهوامش

١. معهد ريئوت، ٢٠١٩ "علاقات إسرائيل ويهود العالم نحو :مفاجأة يوم الغفران" إطار مفاهيمي، معهد ريئوت، حزيران : HYPERLINK "https://bit.ly" https://bit.ly (اخر مشاهدة ١ آذار ٢٠٢٠)

٢. للمزيد من المعطيات عن نتائج الانتخابات، أنظر موقع المعهد الإسـرائيلي للديمقراطية، https://www.idi.org.il/policy/parties-and-elections/elections/2019-september/

٣. أنظـر موقـع لجنـة الانتخابـات المركزية لانتخابـات عـام ٢٠١٥ علـى الرابـط التالـي: https://www.votes20.gov.il/nationalresults/

٤. أنطون شـلحت، ٢٠٢٠، " نتائج انتخابات الكنيسـت الـ٢٣: اسـتمرار الانقسام السياسـي" ورقة تقدير موقف، ١٥ آذار ٢٠٢٠.

٥. أرييـل كهانـا، وزير الخارجية الأميركي بومبيو: كنا نعلم أن المسـتوطنات في يهودا والسـامرة قانونية، يسـرائيل هيوم، ٢٠١٩/١١/٢٧، أنظـر الرابـط: https://www.israelhayom.co.il/article/710979 HYPERLINK "https://www.israelhayom.co.il/article/710979" (آخر مشاهدة: ٢٠٢٠/٢/٢٨).

٦. نوعـا لنـداو، سـفير الولايات المتحـدة الأميركية، فريدمان: لإسـرائيل الحق في ضـم جزء من الضفـة الغربية، هآرتس، ٢٠١٩/٦/٨، أنظـر الرابـط: https://www.haaretz.co.il/news/politics/.premium-1.7342909 HYPERLINK "https://www.haaretz.co.il/news/politics/.premium-1.7342909" (اخر مشاهدة: ٢٠٢٠/٢/٢٨).

٧. أنظر على سبيل المثال تفاصيل دقيقة عن الصفقة في مقال نشره الباحث في معهد دراسات الأمن القومي، اودي ديكل، في حزيران ٢٠١٩. اودي ديكل، الخط الواصل بين خطة ترامب وفرض القانون الإسرائيلي في مناطق المستوطنات، مجلة مباط عال، العدد ١١٧٦، حزيران ٢٠١٩. أنظر رابط المقال: https://www.inss.org.il/he/wp-content/uploads/sites/2/2019/06/1176.pdf HYPERLINK "https://www.inss.org.il/he/wp-content/uploads/sites/2/2019/06/1176.pdf" (آخر مشاهدة: ٢٠٢٠/٢/٢٦).

Itai Brun, Itai Shapira, "2020 Strategic Overview: Growing Challenges to Israel's Current Strategy" Strategic Survey for Israel 2019-2020, The Institute for National Security Studies, January 2020 (at HYPERLINK "https://bit.ly/2HVSen7" https://bit.ly/2HVSen7, Last Seen 25.2.2020)كورونا

Yohanan Tzoreff, "The Palestinians at a Crossroads – Following the Presentation of the "Deal of the Century". INSS Insight. No. 1261. February 23, 2020. (at HYPERLINK "https://bit.ly/3a32EgL" https://bit.ly/3a32EgL, Last Seen 25.2.2020)